الفكر اللغوي عند العرب القدماء: دراسة تأصيلية

د.عاطف فضل

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة إربد الأهلية – الأردن

ملخص

جاء البحث كي يعالج قضية الفكر اللغوي عند العرب القدماء في مستويات اللغة؛ الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، ليقول: إنّ هذه المستويات ما هي إلا تعبير عن مضمون الفكر لدى الإنسان العربي؛ لذا جاءت هذه المستويات على قدرٍ عال من التنظيم والدّقة والإحكام، وليثبت كذلك أنّ علاقة الفكر باللغة علاقة تبادلية وتكاملية؛ تبادلية من حيث إنّ أحدهما يؤثّر في الآخر، وتكاملية من حيث إنّ أحدهما يحتاج إلى الآخر. فاللغة تخدم الفكر حين تعين الإنسان على التعبير عن فكره، وإخراجه إلى حيّز الوجود اللغوي، فتصبح الفكرة موضوعا للتواصل.

الكلمات المفاتيح: فكر لغوي، مستويات لغوية، دراسات لغوية، منهج علمي.

La pensée linguistique chez Arabes anciens : une étude de ses racines

Résumé

Cet article porte sur la pensée linguistique tels que conçus par les anciens Arabes dans ses niveaux phonétique, lexical, grammatical et sémantique. Il indique que les niveaux expriment simplement le contenu de la pensée de l'individu arabe. Ainsi, ces niveaux sont caractérisés en grande partie par la précision, l'organisation et la rigueur. Cela prouve que la relation entre le langage et la pensée est réciproque et intégrale. Elle est réciproque parce que chacun affecte l'autre; elle est solidaire parce que chacun a besoin de l'autre. La langue sert la pensée et aide l'homme à exprimer sa pensée. Donc l'idée se transforme en un objet de communication.

Mots-clés: Pensée linguistique, niveau linguistique, études linguistiques, méthodologie scientifique.

The Ancient Arabs' Linguistic Thought: A Study of its Roots

Abstract

The research deals with the linguistic thought as conceived by the ancient Arabs in its phonetic, lexical, grammatical and semantic levels. It states that the levels simply express the content of the thought of the Arab individual. Thus these levels are characterized by a great extent of precision, organization and rigor. It proves that the relation between language and thought is a reciprocal and integral one. It is reciprocal because each one affects the other; it is integral because each one needs the other. Language serves thought in that it helps man to express his thought and brings it into being. Thus the idea turns into an object of communication.

Key words: Language thought, language level, linguistic studies, scientific method.

مقدمـة

حرّضت اللغة كثيرا من المفكرين والفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء اللغة، وعلماء التفسير والحديث، والباحثين في مختلف التخصصات والمعارف، التي تعدّ اللغة مفتاحها الأساس في الاكتساب والنقل إلى العناية بدراستها ووظائفها، واكتشاف أبعادها المتعددة من زمانية ومكانية، واجتماعية، ونفسية، ومعرفية؛ إذ تراكم ذلك في ميراث ثقافي، وعلمي تصعب الإحاطة به. ذلك أنّ اللغة هي المفتاح لمعرفة كنه الحياة الإنسانية، وإلقاء الضوء على أهمّ مقومات وشروط إنسانية الإنسان.

فاللغة إبانة عن مضمون الفكر لدى الإنسان، وكل كلام لديه ينبثق عن أفكار معيّنة، فلا يوجد فكر دون لغة، ولالغة دون فكر. وهي من ثَمّ ليست رموزا، ولا مواصفات فنيّة فحسب، ولكنّها إلى جانب ذلك، وفي الأساس منهج فكر، وطريقة نظر، وأسلوب تصور. هي رؤية كاملة متكاملة تمدها خبرة حضارية متفردة، وتكوين نفسي مميّز؛ فالذي يتكلم لغة هو في واقع الأمر يفكّر بها، لأنّها تحمل في كيانها تجارب أهلها، وخبرتهم، وحكمتهم، وفلسفتهم.

علاقة الفكر باللغة:

جاءت كلمة (فكر) في المعاجم لتتحدث عن معانٍ كثيرة، منها: التأمل، والنظر، والاعتبار، وبذل الجهد في سياق نظري، يجعل الإنسان يتأكّد من موضوعه، وينظر إلى ما يحيط به، ويتعمق في بحث مسائله. فالعمل عمل عقلي ينصبّ على قضية، أو مشكلة، أو مسألة التحليل، والنظر، والاستنتاج للوصول – ما أمكن – أو الاقتراب من الحقيقة العلمية. فالفكر هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، أو إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلّها[1].

وأمّا كلمة (**لغة**) فإنّ حدّها عند ابن جنّي "أصوات يعبرّ بها كل قومٍ عن أغراضهم"[2]. ولنا مع هذا التعريف ثلاث وقفات هي:

– أنّ اللغة أصوات مميّزة بالسمع، ووسيلته الأذن، واللغة العربية وصلتنا سماعاً عن العرب. وقد تكون مكتوبة برموز تشير إليها الأصوات.

– وثاني أجزاء هذا التعريف "يعبرّ بها كل قوم"، مما يعني وفاء اللغة بحاجة أصحابها تحت كلّ الظروف والمناسبات، وقدرتها على الأداء والاستمرار بما لها من خصائص كامنة في عناصرها، وبما لدى أصحابها من استعداد لاستخدامها، ومعرفة بالتصرف بها قولاً وتعليماً، وأنّها تحتوي على كلّ ألوان الأداء في العلم والأدب، والفنون، والقانون، والسياسة، والصحافة وغيرها. كما أنّها وسيلة لحفظ التراث، وتدوينه، ونقله من جيل إلى جيل.

– وآخر جزء في التعريف هو "أغراضهم"، ويعني أن مهمة اللغة الإبانة عن المقصود، وهذه الإبانة شاملة حاجات المتحدثين بها مهما تعددت بيئاتهم.

وقال ابن خلدون في تعريف اللغة "عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئة عن القصد؛ لإفادة الكلام، وهو في كل أمّة بحسب اصطلاحهم". ويقول في موضع آخر: "وهي ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد"[3].

فاللغة ملكة؛ أي قدرة ذهنية مكتسبة، وهي قابلة للتعلم، وهذه الملكة لسانية؛ أي أداتها اللسان، ومهمتها الإبانة عن مقصود المتكلم، كما أنّها تخضع في أصواتها، وألفاظها، وجملها، وأساليبها لما يصطلح عليه أصحابها من

كلّ أمّة. وهذا يشير أيضاً إلى اجتماعيتها، وكونها تنشأ بين أفراد مجتمع ما، وتعلّمها لا يكون إلا من خلال هذا المجتمع، فهي طريقة تفكير تلازم الفرد والمجتمع.

وبعد هذا يبرز عندنا أسئلة كثيرة عن العلاقة بين اللغة والفكر، وأيّهما أسبق: اللغة أم الفكر؟ وهل تصاحب اللغة الفكر؟ وهل طبيعة اللغة والفكر واحدة؟ وهل يمكن التفكير دون لغة؟ وغير ذلك من أسئلة تثير إشكالات كثيرة، لا داعي للخوض في تفصيلاتها في هذه الصفحات(4).

وإنما نقول: إنّ إشكالية العلاقة بين اللغة والفكر تحتمل افتراضين؛ أحدهما أن نعدّ كلا منهما مستقلاً عن الآخر، وهذا الموقف هو موقف الفلسفة الكلاسيكية، ويمثل هذا الاتجاه كلٌّ من ديكارت وبرجسون؛ إذ ينطلق ديكارت من اعتبار الفكر جوهراً لا ماديّاً، هو مبدأ كلّ الوجود، ولهذا فهو سابق على اللغة. ويرى كذلك أننا في حاجة إلى أداة لإخراج الفكر إلى حيّز الوجود، وجعله مدرِّكاً من قبل الآخرين، وهذه الأداة هي اللغة. وأما برجسون وإن كان يتبنى فكرة ديكارت من علاقة الفكر باللغة، إلا أنه يعدّ اللغة عاجزة عن الإحاطة بكل موضوعات الفكر.

وثاني الافتراضين أن نعدّ العلاقة بين اللغة والفكر تقوم على التلاحم والتداخل والتلازم، بحيث لا يمكن أن نفضل أحدهما عن الآخر، وهذا الموقف يمثله الفلاسفة المعاصرون واللسانيات الحديثة التي تؤكد على أنّ الفكر لا وجود له إلا في شكل لغوي، ولا وجود للغة خالية من المعنى والدلالة. فثمة اتفاق على أنَّ اللغة هي القالب الذي ينصبّ فيه الفكر، والفكر هو المضمون الذي يحتويه ذلك القالب اللغوي، وأنّ المضمون يأخذ شكل القالب ويتحدّد بحدوده في وضوحه وجودته أو غموضه ورداءته، مع ذلك فإنَّ مما لا شك فيه أن علاقة اللغة بالفكر علاقة تبادلية وتكاملية؛ تبادلية من حيث إنَّ أحدهما يؤثر في الآخر، وتكاملية من حيث إنَّ أحدهما يحتاج إلى الآخر، فبمقدار غنى أحدهما يكون إغناء الآخر، فاللغة تخدم الفكر حين تعين الإنسان على التعبير عن فكره وإخراجه إلى حيز الوجود اللغوي، فتصبح الفكرة موضوعاً للتواصل. وفي الوقت نفسه يخدم الفكر اللغة حين يعينها على اختيار اللفظ الأكثر دقة وتعبيراً على المعنى، ويغني اللغة بالمعاني والدلالات التي تحتاج إلى ألفاظ ومصطلحات جديدة، فالفكر يصنع اللغة، ويصنع نفسه بها.

وإنَّ الفكرَ فِعْلٌ والبناءَ فِعل، ونقول: إنّ اللغةَ فِعْل، والفاعل فيها هو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم. وقد عبر ابن خلدون عن هذه الحقيقة بقوله: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة هي فِعْلٌ لسانيٌّ ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير مَلَكَةً متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم"(5).

ويبدو أن الاهتمام بالعلاقة بين الفكر واللغة يعود إلى عهود سحيقة من تاريخ البشرية، فإذا أخذنا بالمصادر الدينية، يكفينا أن نتفكر فيما ورد في القرآن الكريم، الذي يشير إلى هذه العلاقة بصورة مباشرة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١). وإذا كان الله سبحانه قد ذكر حقيقة خلق الإنسان، وأتبعه مباشرة بحقيقة تعليمه البيان، في آيتين متتاليتين: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١ – ٤) فإنّه سبحانه قد ربط اللسانَ بالبيان في آية واحدة، هي قوله جلّ جلاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾ (إبراهيم: ٤).

أما في المدونات البشرية للتاريخ، فإنّ ثَمَّة نصوصاً مهمة ترجع إلى عهد سقراط وأرسطو، ومن جاء بعدهما

من فلاسفة اليونان والرومان. ولا يعنينا في هذا المقام الدخول في تفاصيل ذلك، والمراجع في هذا الشأن متوفرة لمن يريدها. وقد تضمنت المحاورات والمجادلات التي جرت بين فلاسفة الإغريق قضايا بقيت عالقة في تاريخ العلوم عبر الأزمان المختلفة، ولا تزال موضوعات للمناقشة والجدل حتى هذا الوقت. مثل الأسئلة التقليدية الثلاثة: أصل اللغة وانتظام اللغة، وبنية اللغة. وحتى اللفظ (logos) الذي اشتهر في تاريخ الفكر الغربي، فإنه استخدم ليدل في الوقت نفسه على اللغة، والعقل، والفكر.

إنَّ الجدل بين نظريات الفكر اللغوي له تاريخ طويل شهدنا بعض أمثلته عند فلاسفة اليونان، وشهدنا نماذج منه في حلقات السجال بين نحاة البصرة والكوفة. ونشهد الآن سجالاً بين اللسانيين العرب المحدثين، الذي انصرف جلُّ همِّ كثيرٍ منهم إلى تطبيق المناهج الغربية الحديثة على الفكر اللغوي العربي[6]، كما نشهد سجالاً حاداً بين علماء اللسانيات الغربيين الذين ينتمون إلى مدارس فلسفية ونفسية مختلفة، نكتفي بالتمثيل عليها في هذا المقام بالمناظرة المفصلية بين بياجيه وتشومسكي عام 1975 [7].

ومسألة العلاقة بين اللغة والفكر مبسوطة في كتب اللغويين العرب، بصورة واضحة، وفيها يقول ابن جنِّي: "فإذا رأيتَ العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، وحموا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترينَّ أن العناية إذ ذلك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها وتشريف منها... كما قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجِّنه ويغُضُّ منه كُدْرة لفظه وسوء العبارة عنه"[8]. ويقول: "وذلك أن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه، ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة..."[9].

وينقل الجاحظ عن بشر بن المعتمر أنه كتب في "صحيفة من تحبيره وتنميقه أن: "من أراد معنىً كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً؛ فإنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظُ الشريف... والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال... وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات..."[10].

أما الجرجاني فإنه يقول: "وممّا ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنّه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى "فَعْل" من غير أن يريد إعمالَه في "اسم" ولا أن يتفكر في معنى "اسم" من غير أن يريد إعمالَ "فعل" فيه، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبراً أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك" [11].

وأخيرا، فإنّ من أكثر الظواهر تفرعاً في أصولها هي الظاهرة اللغوية، وإنّ من أكثر الأمور تعدداً في الطبيعة البشرية الفكر، والفكر محتاج في بقائه وديمومته إلى اللغة، فاللغة له ومضة، وهو لها لحظة التحول من أصول حسيّة لا قيمة لها أو فيها إلى أصوات منظمة تقول شيئاً، وتعني شيئاً، فتجمع الفرد إلى الجماعة فينتمي إليها، وتنمو الجماعة بالفرد فكراً ولغة أو لغة وفكراً، وكلّ الحروف والكلمات محالها اللسان، وكلّ المعاني والمفهومات محالها الجنان، وبمجموع الأمرين معا يُسمّى الإنسان ناطقاً ومتكلماً على حدّ تعبير الشهرستاني. وهذا، حقاً، هو

الربط بين الفكر واللغة، أو هو علاقة التلازم بينهما، علاقة يتعذر الفصل فيها بينهما. وهي من ثَمّ علاقة تجعل كلّ واحدٍ منهما يحتاج إلى الآخر فيلازمه. وممّا يبيّن مدى التلازم بين الفكر واللغة أنّ متكلماً قد يتكلم بجملة مستبدلاً كلمة بأخرى، أو حرفاً بحرف، فيفهم سامعه خلاف ما كان المتكلم يرمي إليه، فيحصل التناقض الفكري أو سوء الفهم وما يترتب عليه من خلافات. وما كان هذا ليكون لولا وجود اللغة بمبانيها، وقراءتها اللغوية والسياقية، وأبعادها الاجتماعية، وتراكيبها التي تخضع لقوانين البناء اللغوي. ويتم تفكيكها بالتحليل اللغوي، وفي كلّ بناء وتفكيك يبني المتكلم، ويفكّ المحلل فكراً في لغة أو لغة في فكر[12].

فاللغة إبانة عن مضمون الفكر لدى الإنسان، وكلّ كلام لديه ينبثق عن أفكار معيّنة؛ فلا يوجد فكر دون لغة، ولا لغة دون فكر. وهي من ثمّ ليست رموزاً، ولا مواصفات فنيّة فحسب، ولكنها إلى جانب ذلك، وفي الأساس منهج فكر، وطريقة نظر، وأسلوب تصوّر. هي رؤية كاملة متكاملة تمدّها خبرة حضارية متفردة، وتكويناً نفسياً مميّزاً. فالذي يتكلم لغة هو في واقع الأمر يفكر بها، فهي تحمل في كيانها تجارب أهلها وخبرتهم وحكمتهم وفلسفتهم.

إنّ العلاقة بين اللغة والفكر هي علاقة تلازم وتداخل؛ لأنّ الإنسان يفكر باللغة، وهي علاقة جوهرية ذات تأثير متبادل؛ فاللغة تشكل الفكر، والفكر يصوغ اللغة، والشخص الذي يملك ثروة لغوية محدَّدة تكون إدراكاته بقدرٍ مساوٍ لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف شيئاً لا يستطيع التعبير عنه. وهكذا نرى أنّ اللغة تؤثر فيه بطريقة مباشرة في تكوين الفكر. وعن طريق الفكر يتخيّر الإنسان بين بدائل من الألفاظ تكون أنسب للتعبير عما يقصد إليه تماماً.

وباللغة يتكلمها الإنسان يمكن تقييم ما لديه من أفكار؛ فالتفكير السطحي تكون لغته كذلك، والتفكير المستنير يبرزه التعبير اللغوي الراقي. فلا خلاف – إذاً – في العلاقة الأزلية بين اللغة والفكر، ولا في أنّ اللغة للفكر كالأرقام للحساب؛ إذ لا يمكن تصوّر عملية حسابية دون أرقام، مع أن السابق من حيث هو عملية عقلية، والأرقام شيء آخر، كذلك لا يمكن تصوّر فكر دون لغة.

جهود العرب القدماء في الدّراسات اللغويّة:

يأتي في طليعة المشتغلين بطبيعة اللغة – بعد الهنود، وفلاسفة اليونان، والمصريين القدماء، والسريان، والصينيين – علماء العرب الذين أعطوا اللغة قدرها من العناية والدراسة، يدفعهم إلى ذلك حافز ديني؛ للحفاظ على لغة الضاد التي هي وعاء العربية، ولغة التنزيل. قال ابن تيمية: "إنّ فهم اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب ، فإنّ فهم الكتاب والسنّة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب" [13]. وورد عن عمر – رضي الله عنه – "أنْ تعلّموا العربية فإنّها من دينكم، وتعلّموا الفرائض فإنّها من دينكم". وقد كتب إلى أبي موسى: " فتفقهوا في السّنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرين فإنه عربي: [14].

إذن، فقد أدّت الدّراسات القرآنيّة والعربيّة إلى تطوّر كبير في الدّراسات اللغويّة والأدبيّة والنحويّة:

– فبعد أنْ كان في الجاهلية مناظرات ومفاضلات أدبية، على نحو ما روي عن امرئ القيس وأضرابه، والأسواق الأدبية، ومدح الرسول – عليه السلام – لجيّد الشعر ورائع النثر، واهتزاز عمر بن الخطاب– رضي الله عنه – للشعر الجيّد ، وسجدة الفرزدق لبيت عبيد بن الأبرص؛ لأنّ المسلمين يعرفون سجدة القرآن، وهو يعرف سجدة الشعر كما قال.

– كان الحافز الديني هو دافع علماء المسلمين للحفاظ على لغة الضاد، التي هي وعاء العربية ومقدسات الإسلام، فكان النهوض المبكر من أبي الأسود الدؤلي لوضع الضوابط النحوية، بدافع منه، أو إ شارة من الإمام علي، رضي الله عنه. ثمّ اتّسع نطاق البحث النحويّ عند العرب، واشتدّ التّنافس بين مدرستي البصرة والكوفة، فنشأت المدرسة البغدادية التي تؤازر السماع، وتأخذ بوجهة القياس، وكان من أبرز علمائها: الفارسيّ وابن جنّي، واستقرت قواعد النحو والصرف في ذاك العهد، ولم تضف مدرسة الأندلسيين والمصريين إلى تلك الدراسات بعدئذٍ سوى التفضيل والاختيار والتفصيل أو الإجمال والاختصار.

– وأقدم مدرسة لغويّة هي ما حكى عنها السيوطي في الإتقان مدرسة ابن عباس (68هـ) – رضي الله عنه – في سؤالات نافع بن الأزرق، وتفسير القرآن الكريم[15]. كما يعزى إليه كتاب (غريب القرآن).

ولن ينسى التاريخ أثر عبقريّة الخليل بن أحمد (100–175هـ) في كتبه (معجم العين، والإيقاع والنغم، والنقط والشكل، والعروض، والشواهد، والجمل ومعاني الحروف). وتبعه على الدرب تلاميذه الرواد: صاحب الكتاب (سيبويه 180هـ)، والسدوسي (198هـ) والأصمعي (216هـ).

– وعاصر هؤلاء الأعلام أو جاء قبلهم من ألّف مبدعا، أو أضاف جديدا، أو أوضح فكرة في الدراسات اللغويّة. منهم على سبيل المثال أبو عمرو بن العلاء (145هـ)، والمفضّل الضبي (170هـ)، ويونس بن حبيب (182هـ)، وأبو زيد الأنصاريّ (215هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلاّم الهرويّ (223هـ)، وابن الأعرابيّ (231هـ)، وابن السّكيت (243هـ) وغيرهم.

– وشُغل العرب بإعجاز القرآن وتحدّيه، وبلاغته وروعته، فدرسوا ذلك وانتظم لهم ما يُعرف (بعلوم البلاغة) ودرست أول أمرها في داخل الرائع من النّصوص على يدي ابن المعتز، وأبي هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني ثم خلطت بالمنطق والفلسفة كما صنع السكاكي، في كتابه (مفتاح العلوم)، والخطيب القزويني في (تلخيص المفتاح). ونلاحظ أنّ علوم البلاغة وهي علوم جمالية، تأخرت عن النحو والصرف التي تعدّ علوماً كمالية مع أنّ العلماء العرب كانوا موسوعيين في ثقافتهم، فكثير منهم: نحويّ، لغويّ، صوتيّ، راوية، أديب، قارئ، وبعضهم صوتيّ، موسيقيّ، رياضيّ، كالخليل بن أحمد. حتى جاء كتاب ابن قتيبة (276هـ) غريب القرآن، خليطا بين منهجي كتب اللغة وكتب التفسير، وكتاب سيبويه جامعا لقواعد العربية، والأصوات واللهجات ...

– وكان قصد العرب الهام هو المحافظة على ضبط القرآن الكريم وقراءاته وتجويده، فعرفوا الوجوه التي نطقت بها العرب، وطريقة أداء القرآن، بالتلقي والمشافهة، ودرست اللهجات العربية في ظل القراءات القرآنية، ولو دوَّنها العلماء عند ذلك وعند جمع اللغة، لأسدَوْا إلى لغتهم الجميل الوافر.

فبداية الدّرس اللغويّ كانت نحويّة لغويّة، رغم أنَّ لغويي ذلك العهد كانوا من القراء وعلماء القراءات والتجويد. وكان معظمهم من غير العرب.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: "إن هذا الجيل على الرغم من أنه كان حافلا بالكثير من الموالي غير العرب، قد حمل أمانة القرآن والعربية حملاً عربياً خالصاً، إذ أنّ العربيّة كانت تيارا استوعب كلّ الموجات الداخلة في المجتمع"[16]. ويروى عن ابن عباس، رضي الله عنه، قوله: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزل الله، رجعنا إلى الشعر، فالتمسنا معرفة ذلك منه"[17]. ويقول: "إذ تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي"[18] . . وكانت لذلك انطلاقة علماء العرب في جمع الشعر وتدوينه، والتنقيب عن

معاني غريبة، هادفة فهم كتاب الله: فقد رُوي أن عمر، رضي الله عنه، استفسر عن معنى "تخوّف" في قوله تعالى: "أو يأخذهم على تخوّف"[19] وهو على المنبر، فقال له أعرابي: تلك لغتنا يا عمر، ومعناها "تنقص" وروى له قول شاعرهم ذي الرمة:

تخوّف الرحل منها تامكا قردا كما تخوّفَ عود النبعة السفن

ولذا عظمت الدراسات الأدبية، والعناية بتاريخ الأدب ونقده، ودرست التراجم والمؤثرات في الأدب، والعروض والقوافي.

– ولخوف العرب على لغتهم، انطلق العلماء إلى البوادي لجمع اللغة من أصحابها الخلص الموثوق بعربيتهم، وألّفوا في ذلك رسائل خاصّة في الألفاظ أو المعاني مثل: كتاب اللغات في القرآن لابن عباس، ولغات القبائل ليونس بن حبيب (172هـ)، وكتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي، أستاذ الخليل ابن أحمد، وغريب الحديث، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ) وكتاب الأنواء لأبي حنيفة. وأسماء الوحوش والغابات للأصمعي، والزاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (282–370هـ) وكتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني (206هـ). فكانت هذه الرسائل وغيرها مما بقي منها، خير حافظ للغة العرب من الضياع، وأساس المدارس المعجمية العربية المختلفة.

أما عناية العرب بالمباحث اللغوية في تخصّصها واختصاصها، فيمكن التّاريخ لها في منتصف القرن الرابع الهجري، على يدي أبي علي الفارسيّ. وابن جنّي وابن فارس، والثعالبي.

فمن مباحث اللغة ما عرفته العرب كالاشتقاق للأصمعي (216هـ) ومباحث التعريف والاشتراك والترادف، لابن سيده الأندلسي (397–458هـ) في المخصص. ويعد كتابا ابن جنّي: الخصائص، وسرّ صناعة الإعراب، من أحفل الكتب بمباحث علم اللغة التي يصح أن تفاخر بها العرب؛ ففي سرّ صناعة الإعراب: أحكام حروف المعجم، ومخارجها وصفاتها، وتصريفها واشتقاقها، ونظمها مع غيرها ... وفي (الخصائص) منهج جديد لدراسة النحو والصرف، وتناوب الحروف عن بعضها، والاطّراد والشذوذ، ونشأة اللغة، وخصائصها. وجاء كتاب (المزهر في علوم اللغة) للسيوطي (849–911هـ) حافلا بمباحث الأقدمين فحفظها من الضياع، كما أنّ له مباحث جديدة، كالاقتراح في أصول النحو، وحسن المحاضرة، والأشباه والنظائر.

مستويات الدراسة اللغوية عند العرب:

عُني العرب القدماء بالدراسة اللغوية وفق مستوياتها الآتية:

أولاً: المستوى الصوتي:

اهتم العرب القدماء في دراساتهم اللغويّة بالدّرس الصوتي، ولهم محاولات جادّة في هذا المضمار، فقد صنّف القدماء الأصوات إلى صامتة وصائتة، وحدّدوا دلالة كلّ نوع من هذين النوعين، وقسّموا الأصوات إلى: مهموسة ومجهورة وفقاً لتقارب الوترين الصوتيين أو تباعدهما.

هذا ولم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى انبرى نفرٌ من علماء العربية يصف أصوات العربية[20] وصفاً دقيقاً، معتمداً في هذا على لسانه الفصيح، وحساسية أذهنه المرهفة، ودرايته باللغة وأصواتها.

ويرجع للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الفضل في وضع الأسس الأولى للدراسات الصوتية العربية، حيث قدّم في معجمه العين تصنيفاً للأصوات العربية رتبه وفق مخارج الأصوات ومدارجها من الجهاز النطقي، فبدأ بأقصى الحلق، ثمّ أقصى الفم ... إلى الشفتين. وعلى أساس هذا التصنيف ميّز الخليل بن أحمد بين

الصوامت والحركات، وقد سمّى النوع الأول باسم الحروف الصحاح، والنوع الثاني باسم الحروف الهوائية، وضم معه الهمزة[21].

وقد جاء بعد الخليل كثير من علماء العربية ممّن درسوا الأصوات اللغوية، ويأتي في مقدّمة هؤلاء تلميذ الخليل سيبويه (ت 180هـ) الذي درس مخارج الأصوات، وصفاتها، وقسّم الأصوات إلى ثلاث طبقات هي: الشديدة، والرخوة، وما بين الشديدة والرخوة والشديدة. وكذلك بحث سيبويه في ثنايا كتابه موضوعات القلب، والإعلال والإبدال.

هذا وقد قدّم سيبويه تصنيفاً للأصوات العربية شهد له كثير من الباحثين بأنّه يتّسم بالدّقة والشّمول. وتكاد أيضاً دراسات سيبويه الصوتية تتفق في أكثر جوانبها مع الدراسات الصوتية الحديثة المعتمدة على الأجهزة العلمية الدقيقة، والاستفادة من نظريات علوم التشريح والطبيعة.

ولابن جنّي أثرٌ كبير في الدراسات الصوتية، فقد أفرد كتاباً مستقلا يحمل عنوان "سرّ صناعة الإعراب" واتّسمت ملامح الدّرس الصّوتيّ عنده بإضافات جديدة في الدّرس الصّوتي العربيّ[22] منها:

– إدراكه لمعنى جهاز النطق ووظيفته وطبيعته، فقد شبّه مجرى الهواء في الحلق والفم عند إنتاج الصوت بوتر العود أو الناي[23]، متلمساً في هذا التشبيه وسيلة توضيحية لبيان كيفية صدور الصوت.

– تفريق بين الصوامت والحركات، وذلك حسب ممر الهواء عند النطق وهو ما سمّاه اتساع مخرج الحرف وعدم انقطاعه في الحركة [24].

– إدراكه لطبيعة العلاقة بين الألف والواو والياء وبين الفتحة والضمة والكسرة، وأنّ الفرق بينهما لا يعدو كونه فرقاً في الطول أو في كمية الصوت. ثم يشير إلى أنّ الألف والواو والياء تختلف أطوالها باختلاف سياقاتها.

فأبحاث ابن جنّي الصوتية الكثيرة تقدّم أصولاً لعلم الأصوات العام على الطريقة العربية. ففي الكتاب مباحث فونيتيكية صرفة، في مخارج الأصوات وصفاتها، ومباحث فونولوجية من حيث اختصاص أصوات العربية. ثمّ إنَّه استخدام مصطلح (علم) في قوله: علم الأصوات والنغم، وعلم الأصوات والحروف.

ومن الدّراسات الصوتية المميزة رسالة ابن سينا الموسومة بـ "أسباب حدوث الحروف" عالج فيها طرفاً من الدراسة الصوتية علاجاً يختلف عن علاج سيبويه وأمثاله وعلماء العربية. فقد جاء حديث ابن سينا حديث الطبيب المشرّح والعالم بأسرار الطبيعة، حيث أشار إلى كنه الصوت وأسبابه.

ومجمل القول: إنّ العرب القدماء كان لهم في درسهم اللغويّ مباحث صوتية أثارت دهشة المحدثين من الغربيين والعرب. فقد كانت للعرب نظرات فاحصة، وآراء ثاقبة تتفق في أكثر جوانبها مع منجزات الدرس الصوتي الحديث[25].

ثانياً: المستوى الصّرفي:

علم الصرف – في المفهوم التقليدي – هو العلم الذي يتناول دراسة أبنية الكلمة وما يكون لحروفها من أصالة، أو زيادة، أو صحة أو إعلال، أو إبدال، أو حذف، أو قلب، أو إدغام، أو إمالة، وما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء كالوقف والتقاء الساكنين.

وقد جمع علماء العربية القدماء بين النحو والصرف، وذلك على ما يظهر لنا في كثير من مؤلفاتهم، مثل كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، وأوضح المسالك لابن هشام وغيرهم.

وإذا مضينا مع الزمن نجد كتب العربية قد فصلت بينهما، فظهر عدد من المؤلفات تختص بموضوع النحو، ومؤلفات تختص بالصرف[26].

ويعدّ الصّرف من أهم علوم العربية وأشرفها، والذي بيّن شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربيّة، من نحويّ، ولغويّ إليه أيّما حاجة؛ لأنّه ميزان العربية. وما يبيّن شرفه أيضاً أنّه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به.

وتظهر فائدته في صون اللسان والقلم عن الوقوع في الخطأ، وهناك من عدّ الصرف من أعلى المراتب؛ لأنّه يغني الدارس عن البحث في كتب اللغة، بتطبيق القواعد واستعمال القياس فيما يريد صوغه أو ضبطه، كما يحول بينه وبين اللحن في النطق بالكلمات.

ولهذه الأهمية فقد رأى الصرفيون أن يقدّم علم الصرف على غيره من علوم العربية؛ لأنّ معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب تكون مقدّمة على معرفة أحوال الكلم التي تكون له بعد التركيب[27]. يقول ابن جنّي: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنّك إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيت بكراً، ومررتُ ببكرٍ، فإنّك إنّما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأنّ معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لمّا كان عويصاً صعباً بُدِئَ قبله بمعرفة النحو، ثمّ جيء به بعدُه ليكون الارتباط في النحو موطئاً للدخول فيه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرّف حاله"[28].

وأول كتاب يحمل عنوان الصرف هو كتاب التصريف لابن كيسان (ت 120هـ)، كما عُدّ كتاب التصريف للمازني (ت 245هـ) منفرداً بموضوع الصرف ومن ثمّ تتابعت الكتب فظهر "الشافية" لابن الحاجب، و "الممتع في التصريف" لابن عصفور، و "نزهة الظرف في علم الصرف" لأحمد بن محمد الميداني.

هذا وقد حدّد علماء العربية مجال الصرف بالاسم المتمكّن (المعرب) والفعل المتصرف. يقول أبو حيّان النحوي: "ومتعلق التصريف من أنواع الكلمة والاسم المعرب والفعل المتصرّف، فلا مدخل له في الحروف ولا في الأسماء المبنية ولا الأفعال الجامدة نحو ليس وعسى"[29].

واستقرّ مفهوم علم الصرف عند علماء العربية عبر العصور على النحو الآتي:

– فَهِم علماء العربية الأوائل الصرف على أنّه بناء كلمات جديدة قياساً على ما جاء عن العرب في أبنيتهم، وذلك كما جاء عن سيبويه وابن جني[30].

– فهم بعض علماء العربية الصرف على أنه إدخال زوائد على أصول الكلمات العربية، وبحث ما يصيب الكلمة من إعلال وإبدال، وما إلى ذلك من مباحث صوتية كما جاء عند الزجاجي[31].

– استقرّ مفهوم الصرف على أنّه البحث في كلّ ما يتصل ببنية الاسم المعرب، والفعل المتصرف وما يعتريهما من تغيير.

هذا ولا ينبغي أن نفصل فصلاً حادّاً بين النحو والصرف، فهناك موضوعات أفاد فيها النحاة العرب من الصرف في معالجاتهم النحوية، فالحديث عن نائب الفاعل مثلاً يتطلب حديثاً عن بناء الفعل لِما لَمْ يُسمّ فاعله.

والصرف في المفهوم اللساني الحديث "دراسة المورفيمات واتساقها في تكوين الكلم" والوظيفة الأساسية له دراسة التغيرات المنتظمة في الشكل المرتبط بتغيرات في المعنى. لكنّه في المفهوم اللسانيّ الحديث يتسع ليشمل دراسة القوانين المفترضة من قبل اللسانيين لتفسير التغيرات في أشكال الكلم.

ويعتمد هذا العلم على تقسيم الكلمات إلى أدنى وحدة لغويّة هي الفونيمات، ثمّ المقاطع، ثمّ المورفيمات، ثمّ الكلمات، ثمّ الجمل. ويلاحظ أنّ هناك تناسباً طردياً بين مكانة الوحدة اللغوية وعددها، فكلما تدنت مكانة الوحدات اللغوية قل عددها، وكلما علت مكانتها زاد عددها. ويمكن تسمية هذه الظاهرة بظاهرة الهرم المقلوب[32].

هذا وتشكل الدراسة الصرفية أحد المستويات التي تُدرّ على أساسها اللغة في العصر الحديث. ويأتي في مجال الدراسة الصرفية الحديثة ما اصطُلح على تسميته في الغرب بـ"المورفولوجيا".

وقد حدّد اللغويون مفهوم هذه الدراسة في مؤلفاتهم اللغوية، فسوسير يرى أنّ علم الصرف الحديث يعالج أقسام الكلمات المختلفة كالأفعال، والأسماء والصفات والضمائر ... إلخ، وكذلك الأشكال التصريفية المختلفة، تصريف الأفعال والأسماء ... إلخ[33].

ويقول ماريو باي: "والموضوع الأساسي أو موضوع الدراسة في علم الصرف هو دور السوابق واللواحق والتغيرات الداخلية التي تؤدي إلى تغيير المعنى الأساسي للكلمة"[34].

ويوضح علماء اللغة المقصود بهذا المصطلح، ومحاولة الإفادة منه في الدراسات الصرفية العربية الحديثة.

فعلي وافي يرى أنّه البحث في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيُّر أبنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك[35]. ويذكر تمام حسان أن الصرف يكشف عن وظيفة الصيغة واشتقاقها وتصريفها، وأنّ من طبيعة هذه الدراسة أن تتناول الناحية الشكلية التركيبية للصيغ والموازين الصرفية، وعلاقاتها التصريفية من ناحية، والاشتقاقية من ناحية أخرى. ثم يتناول ما يتصل بها من ملحقات، سواء كانت هذه الملحقات صدوراً أو أحشاءً أو أعجازاً [36].

ويقرر كمال بشر حين يقول: "وبإيجاز موجز نستطيع أن نقرر أنّ كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، كل دراسة من هذا القبيل هي صرفٌ في نظرنا"[37]، وعليه فالدراسة المورفولوجية تشمل الجوانب الآتية:

- جانب يتعلق بالناحية الاشتقاقية، والتي تدور الدراسة فيها حول الأصل أو الجذر وما يتصل به من زوائد.
- جانب يختص بوضع هذه المشتقات، وجعلها في صيغ، وهي الناحية الشكلية، أو الناحية التقعيدية.
- جانب يتصل بالمعنى الناتج عن اشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيير أبنيتها، ولعل في هذا الجانب كشفاً عن أهم الفروق بين الدراستين الصرفية القديمة، والمورفولوجية الحديثة. فالدراسة القديمة تهتم بدراسة التغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة. والدراسة الحديثة لا يُعنى أصحابها إلا بدراسة التغيير الذي ينتج عنه غرض معنوي أو قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات. والتغير الذي من هذا النوع هو تغير مورفولوجي. أمّا التغير الذي يقف عند مجرد استبدال صوت بآخر دون تأثير في المعنى، فلا يعدو كونه عند المحدثين تغيراً لفظياً أو صوتياً، ويدخل في إطار الدراسة الفنولوجية.

والمستوى الصرفي كثير المصطلحات بين الدارسين، من نحو: الفونيم، المورفيم، الألومورف، والألوفون ... إلخ ، ثم المورفيم الحر والمورفيم المقيد، والمورفيم الزائد، والمورفيم الاشتقاقي، والمورفيم التصريفي، والمتصل والمنقطع والقواعدي وغيرها ... وقد اختلف بشأن المورفيم كثيراً حتى قيل إنّه يصعب تحديده[38].

وهناك حديث عند المحدثين عن أسس الدراسة الصرفية لا مجال لذكرها[39] في هذه الصفحات.

ثالثاً: المستوى النحوي:

يرى ابن جنّي أنّ النحو "انتحاء سَمْت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك"[40]. وهو قانون يُتوصّل به إلى كلام العرب[41]. وذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإنْ لم يكن منهم، وإنْ شذّ بعضهم عنها رُدّ إليها[42]. وعرّفه أبو حيّان بأنّه يشتمل على أحكام الكلمة، والأحكام على قسمين، قسم يلحقها حالة التركيب، وقسم يلحقها حالة الإفراد، فالأول قسمان: إعرابي، وغير إعرابي. وسمّى هذان القسمان علم الإعراب تغليبا لأحد القسمين. والثاني أيضاً قسمان: قسم تتغير فيه الصيغ لاختلاف المعاني كالتصغير والتكسير، وجرت العادة بذكره علم التصريف. وقسم تتغير فيه الكلمة لا لاختلاف المعاني كالإبدال والقلب وغير ذلك[43].

وذكر ابن عصفور أنّ "النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى أحكام أجزائه التي تأتلف منها"[44]. وعليه فقد حصر مفهوم النحو عند القدماء في ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

- اتجاه عام شامل يقوم على محاكاة طرائق العرب في متن القول، وبناءً على هذه النظرة أخذ النحاة يعالجون في كتبهم مباحث نحوية وصرفية وصوتية.
- اتجاه قال بفصل النحو عن الصرف، واختص كلٌ منهما بمباحث خاصة به تجعل منه علماً قائماً بذاته.
- اتجاه شكلي، وهو اتجاه اتخذ من أواخر الكلمات العلامات الإعرابية أساساً ينطلق منه في فهمه للنحو. وهو اتجاه يدور حول العامل وما يلحق به من علل وتأويل، وجعل من النحو اتجاهاً عقلياً فلسفياً مما عرّضه إلى انتقادات كثيرة على مدار مسيرة النحو، أشهر هذه الانتقادات ما جاء به ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرد على النحاة" قديماً.

وأما الدرس النحوي عند المحدثين فقد برز تياران اثنان، تيار تقليدي؛ يتمثل أصحابه وجهة نظر القدماء. وتيار حديث يمثله علماء اللغة العرب من المحدثين الذين ربطوا فهمهم لطبيعة هذا الموضوع بطريقة علمية تتفق ونتائج الدرس اللغوي الحديث.

هذا وإقامة دراسة العربية ونحوها على منهج لغوي علمي هو هدف اللغويين العرب المحدثين، فما مُنيت به الدراسات اللغوية العربية من وصم بصعوبة أو تعقيد مرجعه عند تمام حسّان إلى عدم التجديد في منهجها، فما ورثناه من آبائنا من خلط في التفكير اللغوي لا يزال كما هو[45]. وإنّ أهمّ قضية بحثها المحدثون هي التراكيب النحوية، وحديثنا هنا سيكون منصبّاً على النظام النحوي (الجملة) بين القدماء والمحدثين.

أخذت الجملة العناية والاهتمام عند المحدثين، حيث جعلها قسم من دارسي (علم اللغة) المعاصر أساساً لدراساتهم وبحوثهم، وذلك لأهميتها في إظهار المعنى، وهو الهدف الرئيس للبحث اللغوي المعاصر. يقول محمود فهمي حجازي: "إنّ أهم فرق يميّز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي القديم يكمن في أنّ الجهد

العربي دار حول نظرية العامل، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن معنى، ومن ثمّ يعدّ المعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة"[46].

لم تنل الجملة حظاً وافراً من الاهتمام عند النحويين القدماء، إذ لم يفردوا لها باباً مستقلاً يتحدثون فيه عن الجملة وأقسامها، ووظائفها، وأحكامها، إنّما جاء الحديث عنها في أبواب النحو. ولعل السبب في ذلك أنّ النحويين بحثوا فكرة العمل والعامل. ولا يظهر في الجملة أثر لعامل حتى جاء ابن هشام (ت 761هـ) ودرس الجملة درساً موسعاً فأفرد لها باباً خاصّاً من كتابه مغني اللبيب، وذكر أقسامها، ووظائفها، ... إلخ[47]. وهذه رؤية من ابن هشام تدل على وعي وبعد نظر في دراسة الجملة وأهميتها.

ومن الجدير بالذكر أن ما قدمه عبد القاهر الجرجاني من البلاغيين من عناية خاصة بالجملة، وأهمية المعنى في تأليفها، وعلاقة بعضها ببعض من تقديم وتأخير، وذكر وحذف يعدّ عملاً مميزاً في النظر اللساني الحديث[48].

يعدّ البحث في الجملة عند المحدثين هو الأساس في الدراسة اللغوية الحديثة التي تتجه إلى وصف الجملة وتحليلها، وذلك لأهميتها في إظهار المعنى الذي يعد العنصر الرئيس في دراسة بناء الجملة.

ولقد نهج النحويون واللغويون العرب القدماء لتصنيف الجملة في اللغة العربية ودراستها منهجين:

الأول: تركيبي، تقسم الجملة في ضوئه إلى اسمية وفعلية، توصف بالكبرى أو الصغرى.

الثاني: بلاغي يتعلق بالمعنى، وتقسم الجملة في إطاره إلى إنشائية وإخبارية.

هذان التقسيمان – النحوي والبلاغي – لم يعد باستطاعتهما تقديم تحليل يعطي فكرة تامّة أو صورة واضحة، يبيّن المعنى المراد من خلال التراكيب اللغوية. فتقسيم الجملة كما يقول مهدي المخزومي: "ينبغي أن يبنى على أساس ينسجم مع طبيعة اللغة، ويستند إلى ملاحظة الجمل، ومراقبة أجزائها أثناء الاستعمال"[49].

وأضاف بعض الباحثين الجملة الإفصاحية (الانفعالية)[50]، والجملة المنطقية[51]، والجملة الوصفية[52] وتشمل الجملة الوصفية: اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة. فهي الجملة الفعلية التي تتكون من جزء من الجملة الاسمية وجزء من الجملة الفعلية نحو: أناجح أخواك ؟

وجاء علماء اللغة المحدثون وجعلوا من الدرس النحوي مجالاً خصباً للبحث، وأخذوا في بناء أسس جديدة تُقيم دراسة لغوية علمية وفق مناهج لغوية غربية حديثة من وصفية وتاريخية وتحويلية. وكانوا أصحاب نظرات ثاقبة، فتحوا باباً كان قد أُقفل في الدرس النحوي العربي هو باب الاجتهاد.

رابعاً: المستوى الدلالي[53]:

علم الدلالة هو علم يبحث في معاني الكلمات والجمل، وله اسم آخر شائع هو "علم المعنى". والمعنى هو الأساس الذي يقوم عليه التفاهم بين أفراد المجتمع. ومن ثمّ فإن علم المعنى هو المشكلة في الدراسات اللسانية، لأنّ المستويات اللسانية تعد هياكل أو قوالب جامدة إذا لم تتجسد بالمعنى.

وموضوع علم الدلالة بأنه كل شيء يقوم بدور الرمز أو العلامة، وهذه العلامة أو الرمز قد تكون حركة باليد، أو إشارة بالعين أو غيرها ... فحمرة الوجه دالة على الخجل، والتصفيق علامة الاستحسان، ورسم فتاة مغمضة العينين تمسك ميزاناً دالة على العدالة.

وأمّا التطور التاريخي لعلم الدلالة، فمرّ علم بمراحل مختلفة قديما وحديثا. أمّا في القديم فقد تعرض الفلاسفة اليونانيون في مناقشاتهم وبحوثهم لموضوعات تعدّ في صميم علم الدلالة. وقد تكلّم أرسطو عن الفرق بين الصوت والمعنى، وميّز بين:

- الأشياء في العالم الخارجي.
- التصورات والمعاني.
- الأصوات والرموز والكلمات.

وظهر الأمر عند أفلاطون في محاوراته مع أستاذه سقراط حول الجدل في العلاقة بين اللفظ ومدلوله، ويرى أفلاطون أنّ هذه العلاقة كانت طبيعية ذاتية سهلة في بدء نشأتها، ثمّ تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبيّن بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلاً أو تفسيراً. والسمة البارزة على هذه المناقشات في تلك الفترة الجدل الفلسفي.

ولم يكن الهنود أقل اهتماماً بمباحث علم الدلالة من اليونانيين. فقد عالجوا منذ وقت مبكر كثيراً من المباحث التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل. ومن الموضوعات التي ناقشوها مسألة نشأة اللغة، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وأنواع الدلالات للكلمة. ثم أشار الهنود إلى نقاط كثيرة ما زال (علم اللغة الحديث) يعترف بها مثل: أهمية السياق في إيضاح المعنى ودور المجاز في تغيير المعنى.

يعدّ البحث في دلالة الكلمات من أهم الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب، فقد أُثر عن العلماء في هذا الميدان مجموعة من المؤلفات اللغوية منها، غريب القرآن لابن عباس، وغريب القرآن لأبي سعيد البكري، وغريب الحديث لأبي عبيدة معمر بن المثنى. ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية التي تدور مفردات كلّ منها حول موضوع معين، مثل: "الهمز" و"النوادر" و"الخيل" و"الإبل" ... إلخ. ومن الذين عُنوا في هذا المجال، خلف الأحمر، وأبو المنذر هشام بن محمد الكلبي، وأبو عمرو الشيباني وغيرهم.

علماً بأن الأمر لم يقتصر على هذه النواحي الضيقة من العمل الدلالي، بل اتجهت إلى مجالات أوسع منها:

- اتجاه قام به ابن فارس في معجمه المقاييس، الذي يقوم على ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.
- اتجاه قام به الزمخشري في معجمه أساس البلاغة، القائم على التفريق بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.
- ثمّ اتجاه قام به أبو الفتح عثمان ابن جني في موضوع الاشتقاق، وما يمكن أن يكون له من وظائف دلالية.
- ولا ننسى اهتمام الأصوليين بمباحث علم الدلالة التي تمثلت في مفاهيم مثل: دلالة المنطوق، والمفهوم، والترادف، والاشتراك، والتخصيص والتقييد ... إلخ.
- وكذلك جهود البلاغيين التي تمثلت في دراسة الحقيقة والمجاز، وخروج الأمر والنهي والاستفهام والنداء إلى أغراضٍ دلالية.
- البحوث الدلالية التي ملأت كتب القدماء، مثل الخصائص لابن جني، وسر العربية للثعالبي، والصاحبي لابن فارس، والمزهر للسيوطي، والمقاييس لابن فارس وغيرهم.

فقد كانت الدلالة عند العرب من أهم القضايا التي لفتت أنظارهم وأثارت اهتمامهم.

أمّا الغربيون فقد ظهرت عندهم مباحث علم الدلالة منذ أواسط القرن التاسع عشر تحت عنوان (Semantics) علم الدلالة أو علم المعنى. وقد بدأت عندهم دراسة المعاني تاريخية حيث يقول فيرث: من ترفش حتى سوسير

وعلم المعنى يهتم بدراسة تغيرات المعنى التاريخية تحت تصنيفات: (التوسع، والحصر، والتعميم، والتخصيص، والمجاز، والتأثير)[54]. ويؤثر هذا المعنى ما أوردته مارجريت غورمان عن هيكاوا: "أنّ كلمة semantics في الأصل تعني الدراسة التاريخية لتغيرات معاني الكلمات[55]. ويقول أولمان: "هناك نواحٍ دلالية أخرى يمكن أن تلعبها دراسة أصول الألفاظ"[56].

ثمّ دخلت علوم على علم الدلالة مثل المنطق والبلاغة وعلم الاجتماع والفلسفة، لأنّ هذه الكلمة أخذت توظّف باعتبارها مصطلحًا عامًا والأشياء لدراسة العلاقات بين الدوال والأشباه التي تدل عليها. وقد ارتبط علم الدلالة إلى أوجدن وريتشاردز اللذيْن حاولا أن يضعا نظرية للعلامات والرموز، كما قدّما ستة عشر تعريفاً للمعنى.

ولا يخفى على أحد أنّ الدراسات اللغوية عند العرب بتلك المستويات المختلفة قد تركت بصمات واضحة في الدرس اللغوي الحديث، وأنّ العرب القدماء قد ساروا على المنهج اللغوي الذي ترتضيه الدراسات اللغوية المعاصرة منهم على سبيل المثال لا الحصر ابن جنّي، والجرجاني، وابن هشام، الذين تناولوا اللغة، ومن قبلهم الخليل وسيبويه وابن سينا والفارابي وغيرهم. لكنّ نقاطاً معيّنة أُدخلت في المنهج الذي ساروا عليه فأدّت إلى وهن في بعض النتائج، من هذه النقاط[57]:

1- الخلط في مرحلة الجمع (جمع الشواهد اللغوية).

2- الاقتصار في استقراء المادة اللغوية على قبائل معينة: أسد، وتميم، وقيس وهذيل وبعض الطائيين وبعض كنانة.

3- الاقتصار في استقراء المادة اللغوية على زمن معين ينتهي بإبراهيم بن هرمة، أو ببشار بن برد.

4- الاهتمام باللفظ على حساب المعنى.

5- الاقتصار في تقعيد اللغة على اللغة المكتوبة، بينما الأصل في اللغة أن تكون منطوقة.

6- قدسية الكتاب النحوي.

خاتمة ونتائج:

وبعد؛

– فقد أثبت البحث أنّ الدراسات اللغوية عند العرب القدماء كان وراء تقدمها حافز ديني، هذا الحافز دفع علماء العرب والمسلمين إلى الحفاظ على لغة الضاد التي هي وعاء العربية.

– كما أثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن ثمة علاقة تلازمية بين الفكر واللغة، بخلاف بعض المقولات التي تحاول الفصل بينهما؛ فاللغة هي القالب الذي ينصّب فيه الفكر، والفكر هو المضمون الذي يحتويه ذلك القالب اللغوي.

– تتبَّع البحثُ، بشيء من الإيجاز، جهودَ العرب في الدراسات اللغوية منذ العصر الجاهلي مرورا بمدرسة ابن عباس، ووصولا إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلاميذه، ثم ابن جني، والجرجاني، وابن هشام وغيرهم.... وصولا إلى العصر الحديث.

– لم يكن الهدف من البحث ذكر المؤلفين ومؤلفاتهم، بل الهدف ما حوته هذه المؤلفات من فكر لغوي شهد على تطور الجهود اللغوية عند العرب عبر مسيرته الممتدة.

– إنّ هذه الجهود كادت أن تلتقي مع جهود الدرس اللغوي الحديث تماما، لولا أنّ نقاطا معيّنة ومحددة أدخلت في المنهج العربي القديم فأدت إلى وهن في بعض النتائج.

الهوامش والإحالات:

1- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة الإسلامية (فكر).

2- ابن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط1، 1952، ج1، ص 32.

3- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص 546، 554.

4- لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع انظر: عمايرة، خليل ، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل، عمان، ط1، 2004 ص 313 وما بعدها. معتوق، أحمد، الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت/ مجلة عالم المعرفة، عدد212، 1996، ص 36 وما بعدها. الفكر واللغة، أحمد أبو زيد، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، مجلد2، عدد1، سنة 1971م.

5- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ص546، 554.

6- انظر: موسى، نهاد. المغمور في دائرة النور، تصدير كتاب التفكير اللساني عند علماء العقليات المسلمين. تأليف عماد أحمد الزبن، عمان: دار النور المبين، 2014م، ص 7–14.

7- غاردنر، هاوارد. "طبيعة الفكر واللغة، مواجهة بين شومسكي وبياجيه"، ترجمة أحمد أوزي، مجلة علوم التربية (مجلة فصلية محكمة تصدر في المملكة المغربية)، عدد 14، فبراير 1998، ص 103–109 والمادة هي تقرير غاردنر عن تلك المناظرة.

8- ابن جني، الخصائص، 217/3.

9- المرجع السابق، الجزء الثالث، 3/ 245.

10- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985، نص الرسالة كاملة 1 / 135–139.

11– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (474ه) دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984م، ص 410. ولمزيد من التفصيل حول علاقة الفكر باللغة انظر الفصل القيّم الذي كتبه الدكتور فتحي ملكاوي في كتابه: البناء الفكري – مفهومه ومستوياته وخرائطه – منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي / مكتب الأردن ، طبعة 1 ، سنة 2015.

12– لمزيد من التفصيل انظر: عمايرة، خليل، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي.

13- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2، ص 23.

14- المصدر السابق ص 207.

15- السيوطي، جلال الدين (ت 911ه)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج1، ص 121.

16- شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط3، 1987، ص 27.

17- السيوطي، الإتقان، ج1، ص 121.

18- المصدر السابق.

19- سورة النحل الآية 47.

20- انظر في الحديث عن الدرس الصوتي عند العرب: أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971.

- السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1962.
- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط1، 1982.
- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1982.
- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ط2، 1968.
- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، ط5، 1979.

21- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175هـ)، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، 1967، ص 64 وما بعدها.

22- انظر: عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، مصدر سابق.

- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، مصدر سابق.

23- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت 392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1969.

24- المصدر السابق.

25- لمزيد من التفصيل حول الدراسات الصوتية الحديثة انظر:

- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مصدر سابق.
- السعران، محمود، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، مصدر سابق.
- حسّان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1980.
- مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، مطبعة دار التأليف، الناشر عالم الكتب، ط2، 1971.
- وافي، علي، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع، ط7، 1972.
- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، مصدر سابق.
- حجازي، محمود، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة، ط2، 1978.
- العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة ياسر الملاح، مطابع دار البلاد، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1983.
- حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مطبعة النجاح، دار الثقافة، ط1، 1979.

26- ابن عصفور، علي بن مؤمن (ت 669هـ)، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1987.

27- الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ)، شرح الشافية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975، ج1، ص 6.

28- انظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، 1950، ص 4.

- الاستراباذي، شرح الشافية، ج1، ص6.

29- السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، همع الهوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، ط1، 1980، ج2، ص 76.

30- انظر: سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1975، ج2، ص267.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط1، 1952، ج2، ص 487-488.

31- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن (ت 340هـ)، الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، ط1، 1984، ج2، ص 399.

32- الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، طبعة 2000، ص 76.

33- سوسير، فرديناند، فصول في علم اللغة، ترجمة أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985، ص233-234.

34- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، 1973، ص 53.

35- وافي، علي، علم اللغة، ص 8.

36- حسّان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 121.

37- بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط1، 1969، ص 97، 119.

38- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1999، ص 285.

- الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة، ص 67 وما بعدها.

39- لمزيد من التفصيل انظر:
- حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة.
- حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها.
- السعران، محمود، علم اللغة مقدّمة للقارئ السوري.
- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر.

40- ابن جني، الخصائص، ج1، ص 34.

41- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي (ت 643هـ)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 17.

42- ابن جني، الخصائص، ج1، ص 34.

43- السيوطي، همع الهوامع، ج ، ص.

44- ابن عصفور، علي بن مؤمن، (619هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار وعلي الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1971، المقرب، ج1، ص 45.

45- حسّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ص 12.

46- حجازي، محمود فهمي، ص 67.

47- ابن هشام، أبو محمد عبد الله (ت 761هـ)، مغني اللبيب، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار إحياء التراث العربي، ج2، ص 374 وما بعدها.

48- الجرجاني، عبد القاهر (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، 1985.

49- المخزومي، مهدي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1966، ص 86.

50- حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 190.

51- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مطبعة الأنجلو المصرية، ط1، 1975، ص 299.

52- بكر، محمد صلاح الدين، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، مؤسسة الصباح، الكويت، ج2، ص 19.

53- انظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1998.
- مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمّان.
- الخولي، محمد علي، علم الدلالة، دار الفلاح، عمان، 2001.
- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات.

54- مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، ص 12.

55- المصدر السابق، ص 13.

56- المصدر السابق، ص 13.

57- عمايرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984، ص 30 وما بعدها.

مراجع البحث ومصادره:

* القرآن الكريم:
- الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، (ت 686هـ)، شرح الشافية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975.
- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971.
- --------، من أسرار اللغة، مطبعة الأنجلو المصرية، ط1، 1975.
- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ط2، 1968.
- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، 1973.
- بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، ط5، 1979.
- ------، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط1، 1969.

- بكر، محمد صلاح الدين، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، مؤسسة الصباح، الكويت.
- ابن تيمية، أحمد، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2،
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255)، البيان والتبيين، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط5، 1985.
- الجرجاني، عبد القاهر، (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز، صبح محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، 1982.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت 392هـ)، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1969.
- ----------، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، القاهرة، 1950.
- ----------، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط1، 1952.
- حجازي، محمود، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة، ط2، 1978.
- حسّان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1980.
- ------، مناهج البحث في اللغة، مطبعة النجاح، دار الثقافة، ط1، 1979.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر، عمان، طبعة 2000.
- ----------، علم الدلالة، دار الفلاح للنشر، عمان، طبعة 2001.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، (ت 345هـ)، الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد، ط1، 1984.
- زكريا، ميشال، الألسنية علم اللغة الحديث، بيروت، 1980.
- السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1962.
- سوسير، فرديناند، فصول في علم اللغة، ترجمة أحمد الكراعين، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 1962.
- ---------، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان، لبنان، 1984.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1975.
- السيوطي، جلال الدين، (ت 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- ----------، همع الهوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، ط1، 1980.
- شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط3، 1987.
- الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 1999.
- العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة باسم الملاح، مطابع دار البلاد، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1983.
- عبابنة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، منشورات جامعة مؤتة، ط1، 1997.
- --------، اللغة الكنعانية – دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2003.
- -------، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، دار الشروق، عمان، 2000.
- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1982.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن، (ت 669هـ)، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، 1987.
- ----------، المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار، وعلي الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1971.
- عمايرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، 1984.
- .....، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل للنشر، عمان، ط1، سنة2004 .
- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط1، 1982.
- ----------، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1998.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت 175هـ)، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، 1967.
- مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمّان.
- المخزومي، مهدي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1966.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية.
- مصلوح، سعد، دراسة السمع والكلام، مطبعة دار التأليف، الناشر عالم الكتب، ط2، 1917.
- معتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، الصادر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت / مجلة عالم المعرفة، عدد 212، سنة 1996.
- ملكاوي، فتحي، البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي / مكتب الأردن، ط1، سنة 2015.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله، (ت 761هـ)، مغني اللبيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- وافي، علي، علم اللغة، دار النهضة، مصر، ط7، 1972.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، (ت 643هـ)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

الدوريات:

- أبو زيد، أحمد، الفكر واللغة، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، مجلد 2، عدد1، سنة 1971.